وإليك كيف وصف مؤرخو العصر نهاية المنجّم الرهيبة :

« قدّم بوميليوس وهو على الحمّالة ويداه مشدودتان الى الخلف مخلعتا الأوصال وساقاه منفرجتان ابتداء من وسط الحقوين وجسده ممزق من ضرب السياط المصنوعة من شرائط الحديد ، قدّم اعترافات كثيرة اكثر مما طلب منه ومما ينبغي للقيصر ان يعلم . وأصدر الإمبراطور أمره بأن يشوى . فأخذ وربط الى وتد من الخشب وأخذ جسده وظهره الداميان ينضجان حتى ظنّ أنه لم يعد فيه قبس من حياة . ثم رُمي به فوق زلاجة واقتيد عبر القصر حتى أوصلوه الى زنزانة حيث مات » .

وفي العام التالي ١٥٨٠ دعا القيصر اكثر رجال الدين اهمية ليعرفهم بالأخطار التي كانت تتهدد الكنيسة الأرثوذكسية نتيجة لغزو جيوش الغرب . وكانت عيناه منذ أمد طويل تتطلعان الى ممتلكات الأديرة وأصبح لديه الآن سبب مقبول للاستيلاء عليها هو ضرورة دفع أجور الجيش الضخم الذي كان قد جنده في وجه الملك إتيين . كان شرهه كبيراً ، ولكنه كان يدعي أن أولئك الذين تخلوا عن الدنيا لا ينبغي لهم أن يسلموا انفسهم تماماً لمنافع الزراعة والتجارة . وقد وصلت إلينا من اخبار ذلك العصر مجموعة من الخطب التي القاها القيصر في هذه المناسبة : « ... يتذمر النبلاء والشعب من أنكم للمحافظة على طبقتكم تمتلكون كل الكنوز التي تقدمها الأرض عن طريق التجارة في جميع انواع المنتجات قاطعين على الناس عن طريق التجارة غير المشروعة فوائد الأسفار . فعن طريق الامتياز الذي تتمتعون به بألا تدفعوا أية رسوم جمركية لعرشنا ولا أية ضريبة للحرب ، وعن طريق إرهابكم لضمائر الأنبل والأقدر والأفضل من رعايانا حصلتم ـ وذلك في حساب دقيق ـ بسحركم وتعازيمكم على ثلث واردات المدن والقرى في المملكة . تشترون وتبيعون نفوس شعبنا وتتمتعون بحياة البطالة في اللذائذ والمسرات ورفاهية العيش ، وترتكبون افظع الخطايا والإبتزازات والمفاسد والفسق . تغطيكم كل انواع الخطايا الدامية الصارخة وانواع الظلم والجور والشره